

نماذج من الرقي الأخلاقي

(١٣)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم





مواقف في الزهد والخشية

(١)





نماذج من زهد النبي ﷺ وخشيته

أخرج الإمام أحمد بإسناده عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال:
«ومات رسول الله ﷺ وماترك ديناراً
ولادرهما ولاعبداً ولا وليدة، وترك
درعه رهناً عند يهودي بثلاثين صاعاً
من طعام»^(١).

(١) الزهد للإمام أحمد / ٤، والوليدة هي الجارية المملوكة.



وهذا مثل أعلى في الزهد في
الدنيا والتقلُّل من متاعها، فلقد كان
بإمكان رسول الله ﷺ أن يكون أغنى
رجل في العرب وربما في العالم، فلقد
أفاء الله تعالى عليه في الغزوات أموالاً
عظيمة، ويكفي مثلاً على ذلك غزوة
حنين حيث كان يعطي الرجل
الواحد مابين جبليْن من الغنم
والإبل، وأعطى عدداً من زعماء
العرب وأكابرهم كل واحد مائة من



الإبل ولم يدخر لنفسه من ذلك شيئاً،
والتحق ﷺ بالرفيق الأعلى وهو على
تلك الصفة المذكورة من التقشُّف
والزهد البالغ.

وأخرج الإمام أحمد بإسناده عن
عائشة رضي الله عنها قالت: دخلتُ
عليَّ امرأة من الأنصار فرأتُ فراش
رسول الله ﷺ عباءة مثنية، فرجعتُ
إلى منزلها، فبعثت إليَّ بفراش حشوه
الصوف، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ



فقال: ما هذا؟ فقلت: فلانة الأنصارية
دخلت عليّ فرأت فراشك فبعثت إليّ
بهذا، فقال: رُدِّيْه، فلم أرده وأعجبني
أن يكون في بيتي، حتى قال لي ذلك
ثلاث مرات، فقال: ياعائشة رُدِّيْه
فوالله لو شئت لأجرى الله معي
جبال الذهب والفضة، فرددته ^(١).

(١) الزهد / ١٤.



وهذا أعظم ما يتصور من الزهد
أن يكون بالإمكان أن تتحول الجبال
ذهبا وفضة لرسول الله ﷺ - بإذن
الله تعالى - ثم يزهد في ذلك كله
وينام على عباءة، ويُلحُّ على عائشة
رضي الله عنها في ردِّ ذلك الفراش!
وأخرج الإمام أحمد بإسناده من
حديث أبي عبد الرحمن سفينة رضي الله عنه
مولى رسول الله ﷺ: أن رجلا ضافَ
عليًا رضي الله عنه، فصنع طعاما، فقالت
فاطمة رضي الله عنها: لو دعونا



رسول الله ﷺ فأكل معنا، فدعوه،
فجاء فوضع يديه على عَضَادَتِي الباب
فراى قِرَامًا في ناحية البيت عليه
صورة فرجع، فقالت فاطمة: الحقه
فاسأله، فقال رسول الله ﷺ: «إنه
ليس لي - أو قال: لنبي - أن يدخل
بيتًا مُزَوَّقًا»^(١).

وهكذا فزع النبي ﷺ من رؤية

(١) الزهد / ٧، والقرام هو الكساء.



ذلك القماش الذي علّق في ناحية من
البيت ورجع ولم يدخل حتى أزيل
ذلك القماش لكونه من مظاهر
الدنيا.

وأخرج ابن سعد بإسناده عن
جندب بن سفيان قال: أصابت النبيّ
ﷺ أشاءة نخلة فأدمت إصبعه، فقال:
ماهي إلا إصبع دُميت، وفي سبيل الله



مَالَقَيْتُ، قَالَ: فَحُمِلَ فَوُضِعَ عَلَى
سَرِيرٍ مَرْمُولٍ بِشُرْطٍ^(١)، وَوُضِعَ تَحْتَ
رَأْسِهِ مِرْفَقَةٌ مِنْ أَدَمَ^(٢) مَحْشُوءَةٌ بَلِيفٍ،
فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرٌ وَقَدْ أَثَّرَ الشَّرِيطُ
بِجَنْبِهِ فَبَكَى عَمْرٌ فَقَالَ: مَا يَبْكِيكَ؟
قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتُ كَسْرِي

(١) أي منسوج بحبال من ليف.

(٢) أي وسادة من جلد.



وقيصر يجلسون على سُرر الذهب
ويلبسون السندس والإستبرق - أو
قال الحرير والإستبرق - فقال: أما
ترضون أن تكون لكم الآخرة ولهم
الدنيا؟^(١)

وهكذا كان سرير النبي ﷺ بهذه
الصلابة والخشونة حتى أثر في جنبه،

(١) طبقات ابن سعد ٤٦٦/١.

وقد أثار هذا المنظر شفقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتذكر ما عليه ملوك فارس والروم، من الترف والنعيم، فقارن بين المشهدين فبكى، وقد بين له النبي ﷺ أن هدف أولئك الدنيا، وقد نهلوا منها بأوفر نصيب، ولكن لاحظْ لهم في الآخرة، وأن هدف المسلمين الحصول على السعادة الأخروية، فلذلك أضعفوا من نصيبهم في الدنيا.



ولقد كان رسول الله ﷺ إمام
المسلمين في الورع والزهد وخشية
الله تعالى وفي غير ذلك من أمور
الدين، وقد ضرب من نفسه مثلاً
أعلى في تطبيق مادعا المسلمين إليه،
فمن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري
من حديث عقبة بن الحارث النوفلي
قال: صليت مع النبي ﷺ العصر، فلما
سلم قام سريعاً، دخل على بعض
نسائه، ثم خرج ورأى ما في وجوه



القوم من تعجبهم لسرعته، فقال:
ذكرت وأنا في الصلاة تَبْرًا عندنا
فكرهت أن يمسي-أو قال: يبيت-
عندنا، فأمرت بقسمته^(١).

وإن هذا التصرف من رسول
الله ﷺ يُعَدُّ مثالا عاليا للشعور
بالمسؤولية، والتحري الدقيق في

(١) صحيح البخاري ، رقم ١٢٢١ ، والتبر هو
الذهب.

القضايا المالية، والمبادرة إلى تنفيذ
التكاليف الشرعية وإن لم يكن وقت
تنفيذها محددًا خشية النسيان أو
حضور الأجل.



من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه

من ذلك ما أخرجه محمد بن سعد من حديث عائشة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وغيرهم أنهم قالوا: بويح أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم قبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ﷺ، وكان منزله بالسُّنح عند زوجته حبيبة بنت



خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني
الحارث بن الخزرج، وكان قد حجّر
عليه حجرة من شعر فما زاد على
ذلك حتى تحول إلى منزله بالمدينة،
فأقام هناك بالسنح بعدما بويع له
ستة أشهر يغدو على رجله إلى
المدينة، وربما ركب على فرس له،
وعليه إزار ورداء ممشق، فيوافي
المدينة فيصلّي الصلوات بالناس، فإذا
صلّى العشاء رجع إلى أهله بالسنح،



فكان إذا حضر صلى بالناس، وإذا لم
يحضر صلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قالوا: فمكث كذلك بالسنح
سنة أشهر، ثم نزل إلى المدينة فأقام
بها، ونظر في أمره فقال: لا والله
ما يصلح أمر الناس التجارة،
وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر في
شأنهم، وما بُدَّ لعيالي مما يصلحهم،
فترك التجارة واستنفق من مال
المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله



يوماً بيوم، ويحج ويعتمر، وكان الذي
فرضوا له كل سنة ستة آلاف درهم،
فلما حضرته الوفاة قال: ردوا ما عندنا
من مال المسلمين، فإني لا أصيب من
هذا المال شيئاً، وإنَّ أَرْضِي التي
بمكان كذا وكذا للمسلمين بما
أصبت من أموالهم ، فدُفِع ذلك إلى

عمر رضي الله عنه ولُقُوح^(١) وعبد صَيْقِل^(٢)
وقטיפفة ما تساوي خمسة دراهم،
فقال عمر: لقد أتعب من بعده^(٣).
ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد
من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي
قال: كنت أخدم النبي ﷺ ... وذكر

(١) أي ناقة صغيرة.

(٢) أي يصفل السيف ويحدها.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٥ .

حديثاً ثم قال: إن رسول الله، أعطاني
بعد ذلك أرضاً وأعطى أبا بكر أرضاً
وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق
نخلة، فقلت أنا: هي في حدي، وقال
أبو بكر: هي في حدي، فكان بيني
وبين أبي بكر كلام، فقال أبو بكر
كلمة كرهها وندم فقال لي: ياربعة
رد عليها مثلها حتى تكون قصاصاً،
قال: قلت: لا أفعل، فقال أبو بكر،
لتقولن أو لأستعدين عليك رسول



الله ﷺ ، فقلت: ما أنا بفاعل، قال:
ورفض الأرض^(١) وانطلق أبو بكر رضي الله عنه
إلى النبي ﷺ، وانطلقت أتלוه، فجاء
ناس من أسلم فقالوا لي: رحم الله
أبا بكر، في أي شيء يستعدي عليك
رسول الله ﷺ وهو قال لك ما قال،
فقلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر

(١) أي فارق أبو بكر الأرض.

الصديق، هذا ثاني اثنين، وهذا ذو
شبهة المسلمين، إياكم لا يلتفت
فيراكم تنصروني عليه فيغضب،
فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه
فيغضب الله عز وجل لغضبهما
فيهلك ريعة، قالوا: ماتأمرنا؟ قال:
ارجعوا، قال: فانطلق أبو بكر رضي
الله عنه إلى رسول الله ﷺ فتبعته
وحي حتى أتى النبي ﷺ فحدثه
الحديث كما كان، فرفع إلى رأسه



فقال: ياربعة مالك وللصديق؟!
قلت: يارسول الله كان كذا كان كذا،
قال لي كلمة كرهها فقال: قل لي كما
قلت حتى يكون قصاصا فأبيت،
فقال رسول الله ﷺ: أجل فلا ترد
عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا
بكر، فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر.
قال: قال الحسن [البصري]:



فَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَبْكِي ^(١) .

فهذا الخبر يدل على ورع أبي بكر
الصدِّيق رضي الله عنه وخشيته من
الله تعالى، فحينما قال -في ساعة
غضب- تلك الكلمة لربيعة بن كعب
رضي الله عنه ندم على ذلك، وخشى
أن يحاسب عليها يوم القيامة، فأهمه

(١) مسند أحمد ٥٨/٤ - ٥٩.



ذلك الأمر وطلب من ربيعة أن يرد
عليه بمثلها ليظهر صحيفته منها، فلما
أبى اشتكاه إلى النبي ﷺ ليضمن
النجاة من مغبة تلك الكلمة، وهذا
أمر عجيب فإنَّ أبا بكر قد نسى أرضه
ونسي قضية الخلاف، وشغل باله أمر
تلك الكلمة لأن حقوق العباد لا بد
فيها من عفو صاحب الحق.

وقد استنكر قوم ربيعة أن
يذهب أبو بكر يشتكي إلى رسول الله



وهو الذي قال ما قال، ولم يعلموا
مأعلمه أبو بكر من لزوم إنهاء قضايا
الخصومات، وإزالة ما قد يعلق في
القلوب من الموجدة في الدنيا قبل أن
يكتب ذلك في الصحف ويترتب
عليه الحساب يوم القيامة.

وعلى الرغم مما ظهر من رضى
ربيعة وتوجيه النبي ﷺ إلى عدم الرد
على أبي بكر فإن أبا بكر قد بكى من
خشية الله تعالى، وهذا دليل على قوة
إيمانه ورسوخ يقينه.



من مواقف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

(١)

من ذلك ما أخرجه الحافظ ابن
عساكر من خبر أنس بن مالك رضي
الله عنه قال: سمعت عمر بن
الخطاب يوماً - وخرجت معه حتى
دخل حائطاً ^(١) فسمعتة يقول - وبينني

(١) أي بستاناً.



وبينه جدار وهو في جوف الحائط:-
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بَخ،
والله لتتقين الله بُنَيَّ الخطاب أو
ليعذبنك^(١) .

فهذا نوع من محاسبة النفس
وتذكيرها بيوم الحساب حتى لا تغتر
بالجاه الدنيوي، فإن الناس يوم

(١) تاريخ دمشق ٤٤ / ٣١٠.

القيامة يبعثون مجردين من أموالهم
وجاههم، ولا يرافقهم إلا أعمالهم
الصالحة.

ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد
من حديث مسروق بن الأجدع قال:
دخل عبد الرحمن - يعني ابن عوف
رضي الله عنه - على أم سلمة رضي
الله عنها فقالت: سمعت النبي ﷺ
يقول: إن من أصحابي لمن لا يراني بعد
أن أموت أبدا، قال: فخرج



عبدالرحمن من عندها مذعورًا حتى
دخل على عمر رضي الله عنه فقال:
اسمع ماتقول أمك، فقام عمر حتى
أتاها فدخل عليها فسألها، ثم قال:
أنشدك بالله أمنهم أنا؟ فقالت: لا
ولن أبرئ بعدك أحدا^(١).

فهذا مثال على ماكان يتحلى به

(١) مسند أحمد ٦/٣١٢.



الصحابة رضي الله عنهم من الخشية
لله تعالى، فهذان الصحابيان الجليلان
كلاهما ممن بشرهم النبي ﷺ بالجنة،
ومع ذلك فزعا لما سمعا هذا
الحديث، ولم يكتف أمير المؤمنين عمر
بذلك، بل ناشد أم المؤمنين أم سلمة
رضي الله عنها بأن تخبره إذا كان ممن
ينطبق عليه هذا الوعيد، وهذا يدل
على قوة الدين وعظمة الله تعالى في
قلوب الصحابة رضي الله عنهم.



وأخرج الحافظ ابن عساكر من
خبر مزينة بن قعب الرهاوي قال:
كنا عند عمر بن الخطاب- رضي الله
عنه - إذ جاءه قوم فقالوا: إن لنا إماما
يصلي بنا العصر فإذا صلى صلاته
تغنى بأبيات، فقال عمر: قوموا بنا
إليه، فاستخرجه عمر من منزله
فقال: إنه بلغني أنك تقول أبياتا إذا
قضيت صلاتك فأنشدنيها، فإن
كانت حسنة قلتها معك، وإن كانت



قبيحة نهيتك عنها، فقال الرجل:
وفؤادي كلما نبهته
عاد في اللذات يبغي تعبي
لا أراه الدهر إلا لاهيا
في تماديه فقد برّح بي
ياقرين السوء ما هذا الصّبا
فني العمر كذا باللعب
وشباب بان مني فمضى
قبل أن أقضي منه أربي



ما أُرَجِّي بعده إلا الفنا
ضيق الشيب عليّ مطلبني
نفسُ لا كنتِ ولا كان الهوى
اتقي المولى وخافي وارهبني
فقال عمر: نعم، نفسُ لا كنتِ
ولا كان الهوى، وهو يبكي ويقول:
اتقي المولى وخافي وارهبني، ثم قال
عمر: من كان منكم مغنيا فليغنْ
هكذا ^(١).

(١) تاريخ دمشق ٤٤/٣١٢.



فهذا مثل من رقة قلب أمير
المؤمنين عمر رضي الله عنه وشدة
خشيته من الله جل وعلا، حيث بكى
لما سمع هذه الآيات الوعظية.
وفي قوله « فإن كانت حسنة قلتها
معك " دلالة على تواضعه وحسن
أسلوبه في دراسة القضايا، واحترامه
آراء الآخرين.

وفي هذا الخبر دلالة على إقرار
الصحابة رضي الله عنهم للأناشيد



الإسلامية واستحسانهم لما كان منها
يشتمل على الوعظ والتذكير بالآخرة،
مع أن ذلك الإمام كان يتغنى بتلك
الآبيات الشعرية في المسجد وبعد
صلاة العصر، فجاوز ذلك خارج
المسجد من باب أولى.

ومن أمثلة ما كان يتصف به
الصحابة رضي الله عنهم من الخوف
والخشية ما أخرجه أبو عبد الله
البخاري رحمه الله من حديث أبي



بردة عامر بن أبي موسى الأشعري
قال: قال لي عبد الله بن عمر: « هل
تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال: قلت:
لا، قال: فإن أبي قال لأبيك، يا أبا
موسى هل يسرك أن إسلامنا مع
رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا
معه وعملنا كله معه برَدَ لنا، وأن كل
عمل عملناه بعده نجونا منه كفافاً،
رأساً برأس، فقال أبوك لأبي: لا
والله، قد جاهدنا مع رسول الله ﷺ



وصلينا وصمنا، وعملنا خيرا كثيرا،
وأسلم على أيدينا بشر كثير، وإنا
لنرجو ذلك، قال أبي: لكني أنا
والذي نفس عمر بيده لوددت أن
ذلك برَدَ لنا، وأن كل شيء عملناه
بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس،
فقلت: إن أباك كان خيرا من أبي»^(١).

(١) صحيح البخاري، (٧/٢٥٤ رقم ٣٩١٥).

فهذا مثل جليل في خشية الله
تعالى يقدمه أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه، وهو الذي
شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وأثنى
عليه كثيرا، ولكن من كان بالله
أعرف كان من الله أخوف كما قيل.
كما أن هذا الخبر مثال على لزوم
التوازن بين مقامي الخوف والرجاء
مع تغليب مقام الخوف، لأن تغليب
الخوف أقوى في العصمة من الزلل



والتفريط، وقد كان هذا هو اعتقاد
أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، أما
أبوموسى الأشعري رضي الله عنه فإنه أيضاً قد
جمع بين الخوف والرجاء، ولكنه
غلب جانب الرجاء، ولا شك أن
عمر أعلم من أبي موسى وأفضل،
وقد أخبر عنه النبي ﷺ بأنه من
المحدثين أي الملهمين.

ويوافق ما جاء في قول عمر هذا
مارؤي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث



قال قبيل موته: اللهم إني كنت
أخافك وأنا اليوم أرجوك، يعني أنه
كان حال حياته وصحته يجمع بين
الخوف والرجاء ولكنه كان يُغلب
جانب الخوف، فلما حضره الموت
غلب جانب الرجاء، وهذا قول
سديد من رجل أخبر عنه النبي ﷺ
بأنه يُبعث يوم القيامة أمام العلماء.
ومن أمثلة خشيته من الله تعالى ما
أخرجه الخطيب البغدادي من خبر



قسامة بن زهير قال: وقف أعرابي على
عمر بن الخطاب فقال:
يا عمر الخير جُزيتَ الجنة
جَهَّزَ بُنَيَّاتِي وَأُمَّهُنَّ
أقسم بالله لتفعلنه
قال: فإن لم أفعل ماذا يكون يا
أعرابي؟ قال:
أقسم أني سوف أمضيَنَّ
قال: فإن مضيت ماذا يكون يا
أعرابي؟ قال:



والله عن حالي لتسألته
ثم تكون المسألات ثمه
والواقف المسؤول بينهما
إما إلى نار وإما جنة
قال: فبكى عمر حتى اخضلت
لحيته بدموعه، ثم قال: يا غلام أعطه
قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره،
والله ما أملك قميصا غيره ^(١).

(١) تاريخ بغداد ٤/٣١٢.



وهكذا بكى أمير المؤمنين عمر
بكاء شديداً تأثراً بشعر ذلك
الأعرابي الذي ذكره بموقف الحساب
يوم القيامة، مع أنه لا يذكر أنه ظلم
أحداً من الناس، ولكنه لعظم خشيته
وشدة خوفه من الله تعالى تنهمر
دموعه أمام كل من يذكره بيوم
القيامة.

ومن ذلك ما أخرجه المؤرخ أبو
زيد عمر بن شبة النميري من خبر



عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: أنا آخركم
عهداً بعمر رضي الله عنه، دخلت
عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن
عمر، فقال له: ضع خدي بالأرض،
فقال: هل حجري والأرض إلا
سواء؟ قال: ضع خدي بالأرض لا
أم لك - في الثانية والثالثة - ثم شبك
رجليه فسمعتة يقول: ويل لي وويل



لأُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لِي، حَتَّى فَاضَتْ
نَفْسُهُ ^(١) .

فهذا مثل مما كان يتصف به أمير
المؤمنين عمر رضي الله عنه من خشية
الله تعالى، حتى كان آخر كلامه
الدعاء على نفسه بالويل إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا لَهُ، مَعَ أَنَّهُ أَحَدُ الْعَشْرَةِ

(١) تاريخ المدينة المنورة ص ٩١٩.

المبشرين بالجنة، ولكن من كان بالله
أعرف كان من الله أخوف، وإصراره
على أن يضع ابنه خده على الأرض
من باب إذلال النفس في سبيل تعظيم
الله عز وجل، ليكون ذلك أقرب
لاستجابة دعائه، وهذه صورة تبين لنا
قوة حضور قلبه مع الله جل وعلا.

ومن ذلك ما أخرجه الإمام ابن
جرير الطبري من خبر سالم بن عبد
الله بن عمر رحمه الله ورضي عن أبيه



وجده قال: لما ولي عمر قعد على رزق
أبي بكر الذي كانوا فرضوا له، فكان
بذلك فاشتدت حاجته، فاجتمع نفر
من المهاجرين، منهم عثمان وعلي
وطلحة والزبير، رضي الله عنهم،
فقال الزبير: لو قلنا لعمر في زيادة
نزيدها إياه في رزقه، فقال علي: وددنا
قبل ذلك فانطلقوا بنا، فقال عثمان:
إنه عمر، فهلموا فلنستبرئ ما عنده
من وراء، نأتي حفصة فنسألها



ونستكتمها، فدخلوا عليها وأمروها
أن تخبر بالخبر عن نفر، ولا تسمي له
أحدًا إلا أن يقبل، وخرجوا من
عندها فلقيتُ عمر في ذلك فعرفت
الغضب في وجهه، وقال: من
هؤلاء؟ قالت: لاسييل إلى علمهم
حتى أعلم رأيك، قال: لو علمتُ من
هم لَسُوْتُ وجوههم، أنت بيني
وبينهم، أنشدك الله ما أفضل ما اقتنى
رسول الله ﷺ في بيتك من الملبس؟



قالت: ثوبين ممشَّقين كان يلبسهما
للوغد ويخطب فيهما للجمْع، قال:
فأي الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت:
خَبَزْنَا خَبْزَةً شَعِيرَ فَصْبِينَا عَلَيْهَا وَهِيَ
حَارَّةٌ أَسْفَلَ عَكَّةً لَنَا فَجَعَلْنَاهَا هَشَّةً
دَسْمَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا وَتَطَعَّمَ مِنْهَا
اسْتِطَابَةً لَهَا، قال: فأَيُّ مُبْسَطٍ كان
ييسطه عندك كان أوطأ؟ قالت:
كسَاءٌ لَنَا ثَخِينٌ كُنَّا نَرْبِّعُهُ فِي الصَّيْفِ
فَنَجْعَلُهُ تَحْتَنَا، فَإِذَا كَانَ الشِّتَاءُ بَسَطْنَا



نصفه وتدثرنا بنصفه، قال: يا حفصة
فأبلغهم عني أن رسول الله ﷺ قدّر
فوضع الفضول مواضعها وتبلّغ
بالتزجية [أي الاكتفاء بالقليل]، وأناي
قدّرت، فو الله لأضعنّ الفضول
مواضعها ولأتبّلغن بالتزجية، وإنما
مثلي ومثلُ صاحبيّ كثلاثة سلكوا
طريقا، فمضى الأول وقد تزود زادا
فبلغ، ثم اتبعه الآخر فسلّك طريقه
فأفضى إليه، ثم اتبعه الثالث، فإن لزم



طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما
وكان معهما، وإن سلك غير طريقهما
لم يجامعهما^(١).

فهذا دليل على زهد أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وعفته حيث اكتفى بالقليل من بيت
المال مقابل تفرغه لأموال الأمة، وقد

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٦١٦-٦١٧.



كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه
يوم أن تولى الخلافة وافق على ترك
التجارة ولم يقبل بأكثر من درهمين
خصصهما له أهل الحل والعقد في
اليوم، فاستمر ذلك في عهد عمر، ثم
أدرك من جاء ذكرهم في الخبر من
أهل الحل والعقد بأن هذا المبلغ
لا يكفي بعد أن توسعت دولة
الإسلام فأرادوا أن يزيدوا في ذلك
المخصص، فكان هذا الموقف



الأخلاقي الرفيع الذي صدر من
عمر رضي الله عنه.

وهذا الموقف يدل على ضخامة
الحياة الآخرة في عين عمر وأنه كان
يرتب سلوكه في الحياة الدنيا على
اعتبار النَّظر إلى الرفعة في الآخرة،
فلذلك اكتفى بالقليل من المعيشة
وفرض على نفسه وأسرته نظامًا
شديدًا في التقشف والزهد، وجعل
مثلَه الأعلى في ذلك رسول الله ﷺ



وأبا بكر رضي الله عنه، فلزم السير
على منهاجها في حياة الزهد وإن
كانت أنماط الحياة قد تغيرت بعض
الشيء في عصره، وهذا يدل على
غزارة علمه وقوة إيمانه.

ولقد كانت قناعته بهذا المنهج
الزهدي كبيرة، حيث ثار غضبه من
ذلك العرض الذي عرضته عليه
ابنته أم المؤمنين حفصة رضي الله
عنها.



ومن ذلك ما أخرجه الإمام
محمد بن جرير الطبري بإسناده عن
عدد من الشيوخ قالوا: أصابت
الناس في إمارة عمر رضي الله عنه
سنةٌ بالمدينة وماحولها، فكانت تسفى
إذا رِيحَتْ^(١) تراباً كالرماد، فسمي ذلك
العام عام الرمادة، فآلى عمر ألا

(١) ريحت: أصابتها الريح.



يذوق سمنًا ولالبناً ولا لحماً حتى
يَحْيَى الناس من أوّل الحيا، فكان
بذلك حتى أَحْيَى الناس من أول
الحيا، فَقَدِمَت السوق عُكَّة من سمن
ووطْبُ من لبن فاشترهما غلام لعمر
بأربعين، ثم أتى عمر، فقال: يا أمير
المؤمنين، قد أبر الله يمينك، وعظّم
أجرُك، قدم السوق وطب من لبن
وعُكَّة من سمن، فابتعتها بأربعين،
فقال عمر: أغليت بهما، فتصدق بهما،



فإني أكره أن أكل إسرافاً. وقال عمر:
كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم
يمسسنني مامسّهم!^(١)

وأخرج محمد بن سعد من خبر
عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن
جده قال: كان عمر يصوم الدهر^(٢)

(١) تاريخ الطبري ٩٨/٤.

(٢) صوم الدهر غير مشروع، فلعل المراد أنه يكثّر
من سرد الصوم.



قال: فكان زمان الرمادة إذا أمسى
أُتي بخبز قد تُرد بالزيت إلى أن نحروا
يومًا من الأيام جزورًا فأطعمها
الناس، وعرفوا له طيبها فأُتي به فإذا
فدُرٌّ من سنام ومن كبدٍ، فقال: أنى
هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين من الجزور
التي نحرونا اليوم، قال: بَخْ بَخْ بئس
الوالي أنا إن أكلتُ طيبها وأطعمتُ
الناس كراديسها، ارفعْ هذه الجفنة،
هات لنا غير هذا الطعام. قال فأُتي



بخبز وزيت، قال فجعل يكسر بيده
وَيَشْرُدْ ذَلِكَ الْخَبْزَ ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ
يَا يَرْفَأُ! احمِلْ هذه الجفنة حتى تأتي بها
أهل بيت بَثْمَغٍ فَإِنِّي لَمْ أَتِهِمْ مِنْذُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ، وَأَحْسِبُهُمْ مُقْفَرِينَ، فَضَعَهَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ^(١).

ومن روائع أقوال أمير المؤمنين

(١) طبقات ابن سعد ٣/٣١٢.



عمر رضي الله عنه في ذلك العام ما
أخرجه ابن سعد من خبر سليمان بن
يسار قال: خطب عمر بن الخطاب
الناس في زمان الرمادة فقال: أيها
الناس اتقوا الله في أنفسكم وفيما
غاب عن الناس من أمركم، فقد
ابتليتُ بكم وابتليتُم بي فما أدري
السُّخْطَةُ عليّ دونكم أو عليكم دوني
أو قد عمّنتني وعمّتكم، فهلّموا فندعُ
الله يُصلح قلوبنا وأن يرحمنا وأن



يرفع عنا المَحَلَّ. قال فرُّني عمر
يومئذ رافعاً يديه يدعو الله، ودعا
الناس وبكى وبكى الناس مَلِيًّا، ثم
نزل.

وذكر ابن سعد عدة أخبار في
استسقاء عمر والمسلمين منها ما
أخرجه من خبر عبد الله بن نيار
الأسلمي عن أبيه قال: لما أجمع عمر
على أن يستسقي ويخرج بالناس كتب
إلى عمّاله أن يخرجوا يوم كذا وكذا



وأن يتضرعوا إلى ربهم ويطلبوا إليه
أن يرفع هذا المحل عنهم، قال
وخرج لذلك اليوم عليه بُرْدُ رسول
الله ﷺ، حتى انتهى إلى المصلى فخطب
الناس وتضرع، وجعل الناس
يُلحُّون فما كان أكثر دعائه إلا
الاستغفار حتى إذا قرب أن ينصرف
رفع يديه مدًّا وحول ردائه وجعل
اليمين على اليسار ثم اليسار على
اليمين، ثم مدَّ يديه وجعل يُلح في



الدعاء، وبكى عمر بكاءً طويلاً حتى
أخضل لحيته^(١).

ومن أمثلة ما كان يتصف به
عمر رضي الله عنه من خشية الله
تعالى ما أخرجه الإمام البخاري من
حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: لما
طُعن عمر جعل يألَم، فقال له ابن

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٠ - ٣٢١.

عباس - وكأنه يجزّعه - : يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبتته، ثم فارقتهُ وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبتته، ثم فارقتهُ وهو عنك راض، ثم صحبت صَحْبَتَهُمْ ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون، قال: أمّا ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإن ذلك من الله تعالى منَّ



به علي، وأما ما ذكرت من صحبة أبي
بكر ورضاه فإن ذلك مَنْ من الله جل
ذكره مَنْ به علي، وأما ماترى من
جزعي فهو من أجلك وأجل
أصحابك، والله لو أن لي طلاع
الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب
الله عز وجل قبل أن أراه^(١).

(١) صحيح البخاري، رقم ٣٦٩٢.



لقد كان عمر رضي الله عنه
يخاف هذا الخوف العظيم من عذاب
الله تعالى مع أن النبي ﷺ شهد له
بالجنة، ومع ما كان يبذل من جهد
كبير في إقامة حكم الله والعدل
والزهد والجهاد وغير ذلك من
الأعمال الصالحة، وإن في هذا لدرسًا
بليغًا للمسلمين عامة في تذكر عذاب
الله الشديد وأهوال يوم القيامة.



من مواقف أمير المؤمنين علي عليه السلام
يُعدُّ أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب عليه السلام من أئمة الزاهدين ، ومن
أخباره في الزهد ما أخرجه الحافظ
أبو نعيم الأصبهاني قال: وسمعت
سفيان يقول: إذا جاءك عن علي عليه السلام
شيء أثبت لك فخذ به، ما بنى عليّ
لينة ولا قصبه على قصبه، ولقد كان

يجاء بحبوه في جراب من المدينة^(١) .
في هذا الخبر يربط العالم الكبير
سفيان بن سعيد الثوري بين الزهد في
الدنيا والعلم المتعلق بذلك، فأمر
المؤمنين علي رضي الله عنه كان من
أئمة الزهد قولاً وعملاً، فأقواله في
الزهد يكون لها الأثر الكبير لأنه كان

(١) تاريخ دمشق ٤٢/٤٨٢ .



طوال أيام خلافته زاهدا يعيش على
رِيع مال له في المدينة ولم يبن له قصرا
يناسب مركزه الاجتماعي، فلذلك
كان بحقٍّ أزهد الناس في عصره كما
قال عنه عمر بن العزيز رحمه الله
تعالى.

و من أخبار أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب عليه السلام في الزهد والورع ما
أخرجه أبو نعيم بإسناده عن علي بن
ربيعة الوالبي أن علي بن أبي طالب
جاءه ابن النجاج فقال: يا أمير المؤمنين



امتلاً بيت مال المسلمين من صفراء
وبيضاء، فقال: الله أكبر! فقام متوكئاً
على ابن النباج حتى قام على بيت مال
المسلمين فقال:

هَذَا جَنَائِي خِيَارُهُ فِيهِ

وَكُلَّ جَانِّ يَدِهِ إِلَى فِيهِ
يا ابن النباج عليّ بأشْياع الكوفة،
قال: فنودي في الناس فأعطى جميع
ما في بيت مال المسلمين وهو يقول:
يا صفراء ويا بيضاء غُرِّي غَيْرِي، حتى
ما بقي منه دينار ولادِهم، ثم أمر



بنضحه وصلّى فيه ركعتين.

وفي رواية أخرى لأبي نعيم من
خبر مجمع التيمي قال: كان عليّ
يكنس بيت المال ويصلي فيه ويتّخذ
مسجداً رجاء أن يشهد له يوم
القيامة^(١).

ففي هذا مثل بليغ في الترفع عن
متاع الدنيا الزائل، فبيت المال قد

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٠ - ٨١.



امتلاً من الذهب والفضة، ولا ينظر
إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه
نظرة إعجاب وغرور، بل كان
جوابه حينما أبلغه المسؤول المالي عن
ذلك أن قال: الله أكبر! فإذا كان
بعض الناس يكبرون الدنيا
ويعظمونها فالله تعالى أكبر منها ومن
كل شيء، ومادام المسلم يشعر حقاً
بأن الله أكبر فلماذا يجعل قلبه مستسلماً
لما هو أصغر!!



إنه فقه عظيم من علي رضي الله
عنه حينما تذكّر هوان الدنيا وحقارتها
فكبر الله تعالى، ولسان حاله يؤنب
من انخدع بمتاع الدنيا الزائل ونسي
أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء.
وإنه لميزان دقيق يحسه المؤمن
الذي نورّ الله سبحانه بصيرته، فكلما
كان الله تعالى أعظم وأكبر من كل
شيء في قلبه كانت الدنيا وما فيها
أهون شيء عليه، وأصبح يُسخر المال



الحلال في طاعة الله جل وعلا، وكلما
عظمت الدنيا في قلبه كان ذلك على
حساب نقص تعظيمه لله تعالى.
ونجد عليا رضي الله عنه يُحَلِّقُ
في آفاق العظمة وهو يخاطب الدنيا
بقوله: يا صفراء يا بيضاء غُرِّي
غيري.. مما يدل على الوجدان الحيّ
والحسّ المرهف الذي يصور الدنيا
كخصم يخاتل ويراوغ خصمه.. وهو
بهذا يعلن انتصاره على جموح النفس



وجموح العواطف، ويُحْكَم عقله
الذي يعطي الدنيا حجمها المناسب
لزمناها المحدود في شقائها ونعيمها،
ويعطي الآخرة حجمها المناسب
لخلودها وعظمة نعيمها وهول
جحيمها.

ونجده ﷺ يصل إلى قمة المعالي
حينما صلى في بيت المال ركعتين
لتكونا شاهدين له يوم القيامة بأنه
قد عدل في حكمه واستقام في أمره.



ولعل في اتخاذ بيت المال مسجداً
رمزاً لعلو الآخرة على الدنيا، وهو
مكمل للسلوك العالي الذي مارسه
في تصريف ذلك المال في وجوهه
المشروعة.

ومن مواقف علي رضي الله عنه
في الزهد والورع مارواه هارون بن
عنتره عن أبيه قال: دخلت على علي



ابن أبي طالب بالخَوَرَنَق^(١) وهو
يرعد^(٢) تحت سَمَلِ قِطِيفَةٍ^(٣) فقلت: يا
أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك
ولأهل بيتك في هذا المال وأنت
تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله

(١) موضع بالكوفة .

(٢) يعني من شدة البرد.

(٣) يعني قِطِيفَةٌ قديمة.

ما أرزؤكم من مالكم شيئاً وإنها
لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي
- أوقال - من المدينة^(١) .

وهنا نتساءل فنقول: ما الذي
حمل أمير المؤمنين علياً على أن يعيش
عيشة الفقراء وأن يتحمل البرد
القارس وهو قادر على أن يشتري

(١) حلية الأولياء ١ / ٨٢ .

أفخر ما يوجد في الأرض من
الملابس وأكثرها دفئاً؟!
ولماذا تورع عن أموال المسلمين
مع أن له حقاً فيها؟
إنه مثال للزهد الحقيقي حيث
يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة
التامة على تحصيله.

إنه تلميذ المدرسة النبوية التي
تربي فيها على الزهد في متاع الدنيا
الزائل، والتنافس على نعيم الآخرة



الخالء؁ فلقد عاش رسول الله ﷺ
عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون
كأغنى الأغنياء.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مواقف في الزهد والخشية (١)
٧	نماذج من زهد النبي ﷺ
٢٠	من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٢	من مواقف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه
٧٣	من مواقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه
٧٨	فهرس الموضوعات